المحاضرة الأولى: السياسة التعليمية الإستعمارية في الجزائر مابين 1830-1870:

اتبعت الإدارة الاستعمارية أشكال وأساليب تعليمية لخدمة مصالحها وتحقيق أهدافها، وفق أدوات وآليات تؤسس لنظام تعليمي جديد يخدم فئة المستوطنين ويسهل عملية إدماج السكان الجزائريين ضمن المجتمع الفرنسي.

1- نبذة عن المرحلة الأولى 1830-1870:

عرفت هذه المرحلة تنوعا في نظام الحكم مابين عودة الملكية (1815-1848)، وقيام الجمهورية الثانية (1848- 1852)، ثم الإمبرطورية الثانية(1852-1870) وتركزت السياسة الإستعمارية على أساليب قمعية عسكرية توسعية ومواجهة المقاومة الشعبية، وفي المجال التعليمي عملت فرنسا على محاربة مقومات الهوية من لغة عربية ودين إسلامي بمراقبة وتحويل المؤسسات الثقافية والدينية لخدمة مشروعها الإستعماري استناد إلى مجموعة من المراسيم والتشريعات التي تعتبر الجزائر أرضا شاغرة يستلزم إزالة ذاتيتها التاريخية وشخصيتها الوطنية[1].

وتنفيذا للسياسة الإستعمارية القائمة على محاربة الثوابت الوطنية للمجتمع، قامت فرنسا بتهديم محلات بيع الكتب المعروفة بالقيصرية، واستحوذت على جزء كبير من المساجد منها من تم كراؤها لبعض للتجار، والبعض الآخر خصص لإسكان جيوش الحملة[2]، وتراجعت معه الحالة العلمية بسبب وقائع الحرب وأهوال الإحتلال وهجرة العلماء وتشتيت القبائل، فالحكومة الفرنسية تجاهلت التعليم في مرحلتها الأولى واشتغلت بالتوسع ومواجهة المقاومة الشعبية فتراجع التعليم وأصبح الناس يتعلمون في بيوتهم سرا نظرا للسياسة القمعية المتبعة[3].

2-التعليم الإستعماري وتأسيس المدارس العربية– الفرنسية:

أصدرت الإدارة الفرنسية مجموعة من المراسيم التي تؤسس لتعليم استعماري جديد يهتم بالتعليم الإبتدائي بإنشاء مدارس فرنسية، حيث تم فتح مدرسة في الجزائر العاصمة عام 1833 للفرنسيين والمسلمين، وهي أول مدرسة مختلطة بمسجد **سوق الجمعة** تعلّم اللغة الفرنسية لأبناء الجزائريين واليهود، والعربية لأبناء الفرنسيين، ومدرسة سنة 1836 خصيصا للأهالي تدرّس اللغة الفرنسية

[1].أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992،، ج2،ص21.
[2].بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص230.
[3].أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 140.

والعربية الدارجة، يشرف عليها معلمان:- فرنسي يعلم القراءة والكتابة والنحو والحساب، والمعلم الجزائري يعلم اللغة العربية والفقه والعبادة استقبلت المدرسة حوالي 60 تلميذا، كما تم تخصيص مدرسة لعمال الإدارة سنة 1837، وتم فتح مدارس أخرى بعنابة ووهران سنة 1839 بهدف منافسة التعليم العربي الذي تنهض به مؤسسة الزوايا، وفي سنة 1845 تم تأسيس مدرسة ابتدائية للبنات بالعاصمة لاستقبال 150 تلميذة خصصت لتعليم الفرنسية نطقا وكتابة مع حصص خاصة بالخياطة، وتمحورت البرامج المقدمة للجزائريين في المدارس الفرنسية العربية على تعليم اللغة العربية والفرنسية والحساب، ونظام الموازين والمكاييل والمقاييس ومعلومات عامة في التاريخ والجغرافيا، كما نص مرسوم 14 جويلية 1850 على توسيع دائرة المدارس العربية الفرنسية، حيث قررت فرنسا فتح ست مدارس ابتدائية أطلق عليها اسم المدارس العربية الفرنسية، وأربع مدارس للإناث في الجزائر وقسنطينة، ووهران وعنابة، ثم حولت مدرسة الجزائر إلى معمل في 1861،وكان يدرس فيها العربية والفرنسية وأعمال الحياكة والنسيج والخياطة، ثم صدر قانون 2 ماي 1865 قصد تشجيع البنات على التعليم وإعطائهن الملابس والمكافآت،اشتمل برنامجها التعليمي على تدريس اللغة العربية والفرنسية والحساب باللغة الفرنسية، وتمنح شهادات للمتخرجين، ثم صدر مرسوم 14 مارس1857 الذي أنشأت بموجبه مدرسة عربية فرنسية في الجزائر، لكي يلتحق بها 1500 تلميذ من أبناء المسلمين والمسيحيين الذين يرغبون في تعلم اللغة العربية والفرنسية[4].

وفيما يتعلق **بالتعليم الثانوي** فقد فقامت الإدارة الإستعمارية بإنشاء مؤسسة أسمتها "كوليج الجزائر" في يناير 1835، وتحولت إلى ثانوية سنة 1848 تحت اسم "ليسيه الجزائر"، كان معظم تلاميذها أوربيون، وفي 1858 تأسست خمس كوليجات صغيرة بعنابة وقسنطينة سكيكدة ووهران ومستغانم، ثم ثانوية بالعاصمة بمفهومها الحديث عام 1862.

بلغ عدد المدارس حسب الإحصائيات سنة 1864 حوالي 18 مدرسة، وفي عام 1870 بالجزائر كلها(31 مدرسة في المنطقة المدنية، 5 مدارس في المنطقة العسكرية مع 13000 تلميذ)، أما نصيب البنات من التعليم فظلت النسبة قليلة حتى سنة 1880 حيث تراوح عددهن مابين 35و40 تلميذة، هذا العدد القليل يشير إلى

[4]. عمار بوحوش،التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962،دار الغرب الإسلامي،1997، بيروت،ص179.

عدم إقبال البنات على التعليم الإستعماري نظرا لتعطيل تدريس اللغة العربية وعلوم الدين[5].

3-المعاهد العربية الفرنسية:

ينتقل إليها الطالب بعد إكمال دراسته في المرحلة الأولى وهي بمثابة المستوى الثانوي في التعليم العربي الفرنسي، ورغبة في تطوير التعليم وتنظيمه لجأت فرنسا إلى تأسيس كوليجات (معاهد) لنشر التعليم ويختص هذا التعليم بالعائلات المتنفذة في المجتمع الجزائري، وتم تأسس أول معهد عربي فرنسي بموجب مرسوم 14 مارس1857، والتحق به أبناء العائلات البرجوازية والطبقة الراقية، ثم تأسس معهدين في 16 جوان 1865 في كل من قسنطينة ووهران ومدرسة أهلية للفنون والحرف بالقبائل سنة 1867، يشرف عليها فرنسيون يحسنون العربية، وكان خريجو هذه المعاهد يتوجهون إلى الجيش أو إدارة القبائل والمحظوظون إلى المعاهد الفرنسية بفرنسا، ولا يحقّ لأي أحد دخولها إلا إذا كان فرنسيا أو متجنّسا ويعرف اللغة الفرنسية بعد دارسته بالمدارس العربية الفرنسية، وقامت برامج هذه المعاهد على التكوين الفرنسي أكثر من الجانب العربي، كما سمحت بتعلّم الدين الإسلامي لمن يريد ذلك لكن مقابل دفع المال، وتعيين مدرسين للدين الإسلامي من طرف الإدارة الإستعمارية، واستنادا إلى الإحصائيات الخاصة بالمرحلة نجد أن عدد الطلبة في 1868 وصل إلى 156طالب منهم 115 جزائري و41 أوروبي، وارتفع سنة 1870 إلى205 منهم 116 جزائري،لكن هذه المعاهد وجدت معارضة من طرف الأوروبيين وألغيت بعد 1870 وألحق معهد الجزائر بثانوية العامة لإرضاء الأقلية الأوروبية[6].

[5].توفيق المدني، المصدر السابق ، ص 385.

[6].حلوش، المرجع السابق ،ص58.